



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد:

جاء في الأثر: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر – أو فاسألوها أهل الثغر – فإن الله يقول: (والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا).

وهذا الأثر يحتاج إلى دراسة من جهتين:

- من جهة: صاحب القول.
- ومن جهة: المعنى المراد.

وسنتناولهما بإذن الله في هذا المقال القصير باختصار.
أولاً: (من هو صاحب هذا القول؟).
يُنسب هذا الأثر في الكتب إلى ثلاثة:

1. عبدالله بن المبارك المتوفى سنة 181 هجرية.
2. وأحمد بن حنبل المتوفى سنة 241 هجرية.
3. وسفيان بن عيينة المتوفى سنة 198 هجرية.

أما عبدالله بن المبارك فلم أقف على أحد ذكر قوله مسندًا – حسب البحث القاصر، وكل من وقفت عليه ذكره بغير
إسناد، لكن جاء في تفسير ابن أبي حاتم أثر فيه سقط في أكثر من موضع سأورده وأرمز للسقوط فيه ب (...)
الأثر هو:

قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أبي، ثنا يعقوب بن إسحاق البغدادي، ثنا حماد ...، قال: سمعته يقول: قال لي.. عيينة،....
اختلفوا فيه... وأهل الثغر، فإن الله يقول: (والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا).

إذن سفيان بن عيينة قال لأحدthem هذا القول لكن هذا المقول له سقط اسمه في الإسناد السابق، لكن جاء في تفسير القرطبي
ذكر المقول له وهو عبد الله بن المبارك (وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك..)[16/391].

وهذا نخلص إلى نتيجة ظنية إلى أنَّ ابن المبارك هو الذي قيل له ذلك وعليه فلم يكُن ابن المبارك قائلًا بل راوياً عن سفيان بن
عيينة.

نأتي إلى إمامنا أحمد بن حنبل:

كذلك لم أجد من أسنداً الأثر إليه، والذي وجدته ذكره أن سفيان هو القائل، قال المروذى: قرئ عليه - يعني أحمد - (والذين

جاهدوا فينا لندينهم سبلنا فقال أَحْمَدُ الْجَاهِدُ الْمَسْعُودِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَخْرَى: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي شَيْءٍ فَانظُرُوا مَاعِلِيهِ "أَهْلُ الْغَرْبِ" نَقْلًا عَنْ أَبْنَى الْقِيمَةِ فِي (بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ) وَالَّذِي نَقَلَهُ بَعْضُ مَسَائِلِ الْمَرْوَذِيِّ لِأَحْمَدٍ [3/1022] وَجَاءَ فِي (الْجَامِعِ لِعُلُومِ أَحْمَدٍ) [13/488] "فَاسْأَلُوا أَهْلَ التَّقْوَىٰ" وَسَوْءَ قَيْلٌ: أَهْلُ التَّقْوَىٰ أَوْ أَهْلُ الْغَرْبِ فَلَا تَعْرَضُ بَيْنَهُمَا كَمَا سَيَأْتِي بِبَيَانِهِ.

وهنا نخلص أيضاً إلى أن أَحْمَدَ لَمْ يَكُنْ هُوَ الْقَائلُ، وَرَبِّما قَالَ أَحْمَدُ أَوْ أَبْنَى الْمَبَارِكُ هَذَا القَوْلُ مَرَّةً مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ لِلْقَائلِ فَنُسِبَ إِلَيْهِمَا مَسْنَدًا فِي مَرْجِعٍ لَمْ تَصْلِهِ أَيْدِيْنَا أَوْ أَنْهَمَا لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ لَكِنْ مِنْ بَابِ التَّسَاهُلِ فِي النَّقْلِ كَمَا هُوَ الْغَالِبُ فِي الْآثَارِ الْوَارِدَةِ عَنْ غَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ أَوْ الصَّحَابَةِ أَوْ الْتَّابِعِينَ، قَالَ أَبْنَى تَبَيْيَانِهِ تَعَالَى فِي رِسَالَتِهِ (مَسَأْلَةُ الْمُرَابَطَةِ بِالْغُرْبَ) [ص 50]: (وَكَانَ أَبْنَى الْمَبَارِكُ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَغَيْرُهُمْ يَقُولُونَ: إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي شَيْءٍ فَانظُرُوا مَاعِلِيهِ "أَهْلُ الْغَرْبِ" فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ...).

نَأَيَ الْآنَ إِلَى (سَفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ) صَاحِبِ الْقَوْلِ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ هَذَا القَوْلُ مَسْنَدًا فِي مَوْضِعَيْنَ:

- **الموضع الأول:** تفسير ابن أبي حاتم وقد مر ذكر الإسناد.
- **الموضع الثاني:** تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) فقد قال: أخبرني ابن فنجويه قال حدثنا ابن شنبة، قال حدثنا عبدالله بن محمد بن وهب، قال حدثنا إبراهيم بن سعيد، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول...

وإسناد ابن أبي حاتم والثعلبي فيهما ضعف، لكن يتتساهم في رواية مثل هذه الآثار كما سبق، وقد رجح أَحْمَدُ مَحَايِرِيُّ الْذِي جَمَعَ تفسير ابن عيينة من بطون كتب التفسير صحة نسبة الخبر إلى ابن عيينة لا من جهة صحة الإسناد بل من جهة مشابهته لطريقة ابن عيينة في التفسير فقال: (وأرجح نسبة الخبر إلى ابن عيينة لأنَّ فيه الالتفاتات الدقيقة التي تميز بها تفسير ابن عيينة عن بقية التفاسير في عصره) تفسير ابن عيينة [ص 305].

خلصنا هنا إلى أن قائل الآخر هو سفيان ابن عيينة ومن بعده نقلوا عنه وسارت بالكلمة الركبان حتى نسبت إلى غير واحد.

ثانيةً: مامعنـاه؟

كتَبَ أَحَدُ الْمَجَاهِدِينَ بِأَرْضِ الشَّامِ اقتراحاً فِي (تُويِّنِ) وَهَذَا الاقتراحُ: هُوَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ (خَطْ سَاخِنٌ) مَعَ عَلَمَاءِ بَلَادِ الْحَرَمَيْنِ الْثَّقَافَاتِ، حَتَّى يُفْتوِهُمْ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الَّتِي أَشَكَّلَتْ عَلَيْهِمْ خَاصَّةً أَنَّهَا فِي الدَّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ.. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ بِكُلِّ بِسَاطَةٍ: (أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ السَّلْفِ اسْأَلُوا أَهْلَ الْغُرْبَ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِمْ فِي بَابِ الْفَقَهِ!) هَكُذا تَصْبِحُ الْفَتْوَى فِي مَسَائِلِ الدَّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ لِأَهْلِ الْغُرْبِ، فَقَطْ لِأَنَّهُمْ عَلَى ثَغْرٍ!

والمَسَأْلَةُ لَيْسَ فِي نَازِلٍ تَخَصِّصُوا فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ بَلْ فِي دَمَاءِ وَأَعْرَاضِ بَحْثِهِمُ الْعُلَمَاءُ وَتَنَاقِشُوهُمْ فِي كَتَبِ الْفَقَهِ بَلْ تُورَّعُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا، كُلُّ ذَلِكَ اعْتِمَادًا عَلَى أَثْرِ سَفِيَانَ بْنَ عَيْنَةَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ! أَوْ اعْتِمَادًا عَلَى اسْتِبْطَاطِ مِنِ الْآيَةِ فِيهِ نَقْصٌ، أَنَا هُنَا لَا أَقْلَلُ مِنْ شَأْنِ الْكَلَامِ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الرَّكَبَانِ وَتَدَوَّلَهَا الْعُلَمَاءُ حَتَّى التَّبَسَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ طَلَابِ الْعِلْمِ مَنْ قَائِلُهَا، لَكُنِّي أَقُولُ: (أَحَسَنُوا اسْتِخْدَامَ الْكَلَامِ أَوْ أَعْطُوهَا حَجْمَهَا)، ثُمَّ يُقَالُ أَيْضًا: إِنَّ الْجَهَادَ الْمَذَكُورَ فِي الْآيَةِ: (وَالَّذِينَ جَاهُوا فِيْنَا لَنَدِينْهُمْ سِبْلَنَا) الْمَرَادُ بِهِ: جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْجَهَادِ وَلَيْسَ جَهَادُ الْكُفَّارِ فَقْطًا، بَدِيلَلِ أَنَّ السُّورَةَ مَكْيَةً نَزَّلَتْ قَبْلَ نَزْوَلِ فَرْضِ جَهَادِ الْكُفَّارِ أَصْلًا، قَالَ أَبْنَى عَطِيَّةَ فِي تَفْسِيرِهِ: (فَهِيَ قَبْلُ الْجَهَادِ الْعُرْفِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ جَهَادٌ عَامٌ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَلْبٌ رَضَاءٌ) [ص 1496] بَلْ نَكَرَ الْحَسْنَ أَنَّ الْآيَةَ فِي (الْعُبُادِ) وَقَالَ أَبْنَى عَبَّاسٌ: (هِيَ فِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ) وَلَا تَعْرِضُ بَيْنَ الْأَقْوَالِ، فَالْعُبُادُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ أَهْلُ الْغُرْبَ دَخَلُوا فِي الْآيَةِ لَأَنَّهُمْ مَمْنُونُ جَاهِدُوا، قَالَ أَبْنَى الْقِيمَ بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنْوَاعَ الْجَهَادِ أَعْنِي: جَهَادُ النَّفْسِ وَالْهُوَى وَالشَّيْطَانِ وَالْكُفَّارِ: (وَمَنْ تَرَكَ الْجَهَادَ فَاتَّهُ مِنَ الْهُدَى بِحَسْبِ مَاعْطَلَ مِنَ الْجَهَادِ) [الفَوَائِدُ ص 58] فَالَّذِي فِي الْغُرْبِ إِنْ لَمْ يَجَاهِدْ نَفْسَهُ فَيَتَورَّ عَنِ القَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَنْقَصُ نَصِيبَهُ مِنَ الْهَدَايَةِ بِقَدْرِ تَقْصِيرِهِ فِي الْجَهَادِ، وَقَدْ كَانَ فِي زَمَانٍ مَضِيَ أَهْلُ الْغُرْبِ هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَطَالِبُوْهُ الْعِلْمَ وَطَالِبُوْهُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنُ.

ملتقى أهل التفسير

المصادر: